

جذور المقاوالاتية في الفلسفة الاخلاقية الارسطية

The roots of entrepreneurship in Aristotelian moral philosophy

جلجال عبدالقادر^{1*} د سماحي بوحجرة²

(djeldjelaek@gmail.com) / الجزائر (1)

(smahi.philosophie@gmail.com) / الجزائر (2)

تاريخ الاستلام : 04 / 02 / 2020 ؛ تاريخ القبول : 16 / 06 / 2020 ؛ تاريخ النشر : 20 / 07 / 2020

Abstract

المخلص

This research engages in the context of an attempt to understand the phenomenon of entrepreneurship. But he aspires to dig deep into its philosophical roots. What makes this research urgently required is that entrepreneurship, although it is gaining attention from the social and human sciences, its approach from philosophical perspectives is still in its early beginnings. The research chose the Aristotelian moral philosophy as a philosophical and moral foundation that justifies the idea that the contractor truly represents the moral model according to the reading that this paper proposes to Aristotle's moral philosophy.

Keywords entrepreneurship, philosophy, Aristotle, ethics

ينخرط هذا البحث في سياق محاولة لفهم ظاهرة المقاوالاتية. لكنه يطمح إلى الحفر عميقا في جذورها الفلسفية. وما يجعل هذا البحث مطلوبا بصورة ملحة هو أن المقاوالاتية، وإن باتت تحظى بالاهتمام من لدن العلوم الاجتماعية والإنسانية، فإن مقاربتها من منظورات فلسفية لازالت في بداياتها الأولى. لقد اختار البحث الفلسفة الأخلاقية الأرسطية بوصفها تأسيسا فلسفيا أخلاقيا يسوغ لفكرة أن المقاول يمثل بحق نموذج الأخلاقية بحسب القراءة التي يقترحها هذا البحث لفلسفة أرسطو الأخلاقية.

الكلمات المفتاحية: المقاوالاتية، الفلسفة، أرسطو، الأخلاق

* الباحث المرسل:

تمهيد:

ينخرط هذا البحث في سياق محاولة لفهم ظاهرة المقاولاتية. لكنه يطمح إلى الحفر عميقا في جذورها الفلسفية. وما يجعل هذا البحث مطلوباً بصورة ملحة هو أن المقاولاتية، وإن باتت تحظى بالاهتمام من لدن العلوم الاجتماعية والإنسانية، فإن مقاربتها من منظورات فلسفية لازالت في بداياتها الأولى. فالتأسيس لهذه الظاهرة فلسفياً، سواء معرفياً أو أكسيولوجياً أو أنطولوجياً يمثل حقا مدخلا لممارسة فلسفية أصيلة تتميز بالجدة والراهنية. يتموقع هذا البحث في إطار الدراسة الأخلاقية لظاهرة المقاولاتية. فانشغاله ينحصر في محاولة تعرية الأساس الأخلاقي الذي يجعل وجود المقولة ممكناً. وواضح أن البحث في الأساس الفلسفي الأخلاقي لظاهرة المقولة يدفعنا، اضطراراً، لمعرفة المقول أو رائد الأعمال وما يتميز به من سمات وخصائص أخلاقية نوعية. فالمقولة لا يمكنها أن تنشأ إلا بوجود المقول أو رائد الأعمال، هذا الشخص الاستثنائي الذي تتمحور حوله المقولة. فمن بين أغراض هذا البحث - وهو ما سيمثل مطلبه الأول - بناء صورة للمقول قريبة من حقيقته، وتبديد صور نمطية ما فتئت تلتصق به، نظير كونه شخصاً لاهثاً وراء الربح وحسب. لقد اختار البحث الفلسفة الأخلاقية الأرسطية بوصفها تأسيساً فلسفياً أخلاقياً يسوغ لفكرة أن المقول يمثل بحق نموذج الأخلاقية بحسب القراءة التي يقترحها هذا البحث لفلسفة أرسطو الأخلاقية.

فمن هو المقول؟ وبأي معنى يمكن النظر إلى فلسفة المعلم الأول بصفتها تأسيساً فلسفياً

أخلاقياً للمقولة؟

سيعكف البحث في شقه الأول على رصد السمات الأخلاقية للمقول بينما سيعرض، في شقه الثاني، الفلسفة الأخلاقية عند أرسطو، ليخلص في النهاية إلى استنتاج يكشف عن عناصر في هذه الفلسفة تمثل الأساس الفلسفي العميق للأخلاق المقاولاتية، بحيث يغدو المقول تحقيقاً عملياً للأخلاقية كما تصورها أرسطوطاليس في فلسفته.

السمات الأخلاقية للمقاول:

المقاول حامل لرسالة:

يتميز المقول، أولاً، بأنه حامل لرسالة، فمن خلال انتباهه لحاجة ملحة لدى الناس يهتدي إلى فكرة فذة يترجمها إلى قيمة جديدة ملموسة تلبي تلك الحاجة.

ويصبح مدار المقاوله هوانتاج هذه القيمة. ومن ثمة لا يصبح الربح مطلباً في ذاته، مع أنه في النهاية التحليل مشروع بل ومطلوب، من أجل تغطية كلفة الإنتاج وتوسيع المقاوله وتحسين ما تنتجه الأخيرة من قيمة. إن الهدف الأسمى للمقاول هو "إحداث فارق في العالم من حوله. والفارق لا يعني في هذا المقام المال أو السلطة أو المكانة الرفيعة. إن من بين المعاني التي ينطوي عليها مفهوم "الفارق" جعل العالم مكاناً أفضل أو تحسين جودة الحياة بطريقة ما أو مساعدة الأشياء الرائعة على الاستمرار والتحسين"1 وقد يعني أيضاً تصحيحاً لخطأ قائم.

يصلح "بنك غرامين" الذي أسسه أستاذ الإقتصاد البنغالي محمد يونس الحائز على جائزة نوبل للسلام سنة 2006 أن يكون مثلاً نموذجياً للمقاوله الساعية إلى خلق فارق في العالم والمستلهمة من فكرة فذة أوحى بها حاجة ملحة، وأفضت بمحمد يونس إلى تأسيس هذا البنك في منتصف سبعينيات القرن المنصرم، وأن ينسحب من التدريس من جامعة شيتاغونغ بدكة ليكرس منذ ذلك التاريخ كل حياته لإنجاح هذا المشروع المقاولاتي.

لقد أسس يونس مصرفه بعيداً كل البعد عن الأعراف والتقاليد والتصورات التي تحكم العمل المصرفي، فالبنوك التقليدية تقوم على مبدأ أنه كلما ازداد ما يملكه الشخص ازدادت فرصه في الحصول على قروض، أما "إذا كنت تملك القليل أو لا تملك شيئاً فلن تحصل على شيء. ونتيجة لذلك فإن أكثر من نصف سكان المعمورة محرومون من الخدمات المالية للبنوك التقليدية، لأن هذه البنوك تعتمد على الضمانات الإضافية"2، و"بنك غرامين" لا يشترط هذه الضمانات لأن قروضه موجهة خصيصاً للفقراء. فالبنك قد أنشأه صاحبه من أجل مساعدة الفقراء والمعدمين ومن لا يملكون هذه الضمانات أصلاً. فالرسالة التي كرس لها يونس حياته هي محاربة الفقر، "ففي مطلع سبعينيات القرن العشرين، كانت بنغلاديش المستقلة حديثاً حينها تعيش وضعاً مزرئياً نتيجة الفيضانات والجفاف والرياح الموسمية وانتشار المجاعة. وقد تسبب ذلك في خلق حال من اليأس بين ملايين من السكان"3، فأصبح من غير الممكن لمحمد يونس "القيام بتدريس نظريات منمقة تتمحور حول الاقتصاد، والفقر المدقع يفتك بالناس" ليس بعيداً عن قاعة المحاضرات.

هذا الواقع شديد السواد أوحى ليونس بفكرة تأسيس بنك للفقراء يقدم لهم قروضا من أجل تمويل مشاريعهم الاقتصادية الصغيرة. واليوم وبعد أزيد من ثلاثين سنة من تأسيسه، "يعمل" بنك غرامين على امتداد مساحة بنغلاديش خدمة للفقراء في كل واحدة من قرى بنغلاديش ويقدم قروضا لثمانية ملايين مستفيد. وقد أثبتت التجربة "أن نسبة إيفاء الديون فعالة جداً، حيث تبلغ قرابة الـ 98% بالرغم من حقيقة أن بنك غرامين يركز على الفئات الأشد فقراً في المجتمع، أي أولئك الذين

ما زالت البنوك التقليدية تنظر إليهم باعتبارهم غير جديرين بالإقراض" ولعل روح الالتزام التي يبديها الفقراء المقترضون تجاه ما عليهم من مستحقات مالية تمثل أحد الأسباب التي جعلت هذا البنك، بالرغم من طبيعته غير النمطية، يحافظ على استمراره، بل ويوسع من نشاطاته وينوع فيها.

روح المخاطرة:

تقضي محاولة المقاول خلق قيم جديدة إلى سمة أخرى يتميز بها وهي روح المخاطرة، بل إن "المقاولة تتمحور بالأساس حول المخاطرة.. فمن أجل تطبيق المقاول لفكرته ووضعه محل التنفيذ، يبذل الكثير من الجهد والوقت ورأس المال وهو يعلم أن كل ما يقوم به غير مضمون النتائج"⁴ وإمكانية الفشل واردة جدا. فمن المجازفة، مثلا، أن ينشئ شخص مصرفا من ماله الخاص أو بمساعدة بنوك أخرى يقدم لها ضمانات، وأن يقرض أناسا فقراء لا عهد لهم بالخدمات البنكية لينشئوا مشاريع اقتصادية خاصة بهم، على غرار ما فعل محمد يونس. لكن وبالرغم من أن المقاول يراهن على مبادرات قد يرى فيها غيره أنها مستحيلة وأن الخوض فيها تهور وضرب من الجنون إلا أن هذه المبادرات يسبقها تفكير مترو وقراءة متدبرة للواقع الذي يتحرك فيه المقاول، فالمخاطرة بهذا المعنى هي مهارة وليست مجرد مجازفة متهورة غير محسوبة العواقب.

تتطلب روح المغامرة لدى المقاول استعدادا نفسيا وذهنيا عاليا، فلما تكون الفرصة معلومة يقوم المقاول بتقييم الأمر والاختيار بين استغلالها أو عدم استغلالها الأمر الذي يقتضي قدرة على الالتزام وأخذ القرار. إن نشاطا كهذا محفوف بالمخاطر لا يمارسه إلا أشخاص غير عاديين يتمتعون بسمات نفسية نوعية، فالمقاولون يشتركون فيكونهم مستقلين، وهذه الاستقلالية يعبر عنها سعيهم إلى السيطرة على مصيرهم من خلال تجسيد أفكارهم الأصلية. ولأنهم يتحركون في بيئة متغيرة، متحركة ومفتوحة على كل الاحتمالات يميل المقاولون إلى المرونة والتقاؤل والتساهل مع الغموض واللايقين.

الاشتغال على الذات:

يولي المقاولون أهمية بالغة للاشتغال على ذاتهم من أجل تطويرها. فهم مثابرون، يواجهون المخاطر والتحديات بصبر، ويدركون قيمة التدريب والتكوين. بل إن هذا التكوين يبدأ منذ الطفولة، مما يعني أن للعائلة دورا مهما في هذا الشأن. فعدد المقاولين ينتسبون إلى عائلات لها تجربة مع الممارسة المقاولة. فالعائلة التي خبرت هذه الممارسة تقدم الدعم المادي للمقاول وتوفر له التربية المبكرة على النموذج من خلال غرس المهارات والاستعدادات على المقاولة. ومن

مظاهر هذا الاشتغال على الذات تحلي المقابل بالصبر، "فعمليا، عندما يحاول المقابل خلق أو ابتكار شيء جديد في هذا العالم، فإن سوقه لا يكون معروفا" 5، ولذلك يدرك المقابلون أن ما ينتجونه من قيم يحتاج كثيرا من الوقت والجهد حتى تحتل مشاريعهم المقاولاتية حيزا من السوق، ويصبح ما ينتجونه من القيم مطلوباً من قبل المستهلكين. فمع ظهور الأنترنت مثلا لم يكن هناك من يتكهن بمدى نجاح سوق أعمال قائمة على الأنترنت.. ومع ذلك هناك من المقابلين من رأى في هذه التكنولوجيا فرصا وأسواقا تعد بالكثير من النجاح.

يقودنا التحليل السابق إلى نتيجة مفادها أن المقابل، على المستوى الأخلاقي، شخص استثنائي بكل المقاييس، فلا يمكن لشخص أن يشتغل على ذاته باستمرار من أجل تطويرها وأن يبلغ مبلغ الريادة وأن يعود نفسه على ركوب المخاطر وإطلاق مبادرات كبيرة لولا أنه يتصور نفسه، كما المصلحين الدينبيين الكبار، رجلا ملهما حاملا لرسالة تعبر فعلا عن استقلاليته وفرداته، ويحقق سعادته في إضافة قيمة جديدة تدفع مجتمعه نحو مزيد التقدم.

الفلسفة الأخلاقية الأرسطية:

السعادة مدار الأخلاق في الفلسفة الأرسطية:

يقرر أرسطو أن العودة إلى الواقع كفيل لوحده بأن يدلنا على ما يطلبه الناس من خلال ما يؤتونه من أفعال، ف"المبدأ الحق في كل الأشياء إنما هو الواقع. وإذا كان الواقع نفسه معروفا دائما بالوضوح الكافي، كاد لا يكون ثمة حاجة للصعود إلى علته" 6، وهذا الواقع يؤكد حقيقة وحيدة مفادها أن "كل معرفة وكل تصميم يعزمه عقلنا يقصد به بالضرورة... الخير الأعلى الذي يمكن أن نتبعه في جميع أعمال حياتنا. وإن اللفظ الذي يدل عليه مقبول تقريبا عند الناس جميعا. فالعامي كالناس المستيرين يسمى هذا الخير الأعلى"، الذي يطلبه الناس جميعا، السعادة.

ينعت أرسطو السعادة بالاستقلال لكنه لا يقصد من هذا النعت الخير الأعلى الذي تصوره أفلاطون. إن ما يعنيه بالاستقلال "هو هذا الذي مأخوذاً على إنفراده، يكفي لسيرورة الحياة مرغوبا فيها، ويجعل أن لا حاجة بها إلى أي شيء كان"، فالسعادة هي خير أعلى لا لأنها متعالية على الحياة العملية وموجودة في عالم مفارق كما ترى المثالية الأفلاطونية بل فقط لأنها الغاية من كل فعل يقصد إليه المرء، فهو يطلبها لذاتها ويتخذ من كل الخيارات التي هي أدنى مرتبة منها (أي كل خير لا يطلب لأجل ذاته بل من أجل تحقيق خيارات أعلى منه مرتبة) وسيلة لتحقيقها.

إن الغايات التي يسعى الناس إلى تحقيقها في حياتهم العملية، في اعتقاد أرسطو، "متعددة على ما يظهر، وأننا نستطيع أن نبغي بعضها من أجل الأخرى... فمن البديهي أن كل هذه الغايات بلا تمييز ليست كاملة ولانهائية بأعيانها. وإذا وجد عدة أشياء من هذا القبيل فإن أشد الأشياء نهائية من بينها هو الخير" الأعلى أو السعادة كما يسميه أرسطو، وهي بهذا المعنى وحده يمكن وصفها بالاستقلال كما أسلفنا.

إن ربط موضوع الأخلاق بالسعادة عند أرسطو جعل منها أمرا ذاتيا متعلقا بالأفراد، " فلم يعد الأمر بصدد الفضيلة والواجب الذي قرر سقراط وأفلاطون أنهما الغرض الأسمى للحياة الإنسانية"⁷، يطلبهما الإنسان حتى وإن كان في ذلك مجلبة للتعاسة والألم والمضرة. فالإنسان لا يكون سعيدا في رأي أرسطو إلا إذا حقق من خلال أفعاله ما يراه لذة، ف"الناس جميعا، حسب حوادث الحياة الواقعية، يبحثون عن الخير والسعادة وكل ما يجعل الحياة لذيدة وكل ما يجعلنا راضين"⁸ويجعل الحياة مرغوبا فيها.

الفضيلة تمام الفعل:

يقرر أرسطو، في سياق بحثه عن الحياة السعيدة، أن لكل موجود عملينجه وغاية يحققها بعمله، "وعندما يقول قائل أن هذا هو عمل شيء ما، فإن ذلك يعني ما يستطيع هذا الشيء وحده القيام به، أو ما يستطيع القيام به أفضل من أي شيء آخر"⁹، وأداء الموجود لعمله على نحو تام وفعال هو فضيلته، "وعلى هذا ففضيلة العين كون العين طيبة وأنها تؤدي وظيفتها كما ينبغي. لأن لفضيلة العين الفضل في أن الإنسان يحسن النظر". ويقال الأمر ذاته أيضا "عن أي كائن حي الذي يكون عمله هو أن يحيى، فنقول أنه موجود حسن حين يقوم بعمله، وهو الحياة، على نحو فعال" وعلى غرار الكائنات الحية التي فضيلتها هي أن تحيي حياة تامة وفعالة " تكون الفضيلة في الإنسان هي تلك الكيفية الأخلاقية التي تصيره رجلا صالحا، رجل خير، والفضل لها أنه يعرف أن يؤدي العمل الخاص به"الذي تتحقق بواسطته سعادته المنشودة.

نوعا الفضيلة:

يقسم أرسطو النفس إلى قسمين متميزين "هما الجزء الموصوف بالعقل والجزء الذي مع كونه ليس حائزا على العقل على المعنى الخاص فإنه قابل لفهمه ومطيع له"، إنه الجزء الذي يمثله الجانب الانفعالي للإنسان المكون من أهوائه وعواطفه والذي يمثل الفعل مظهره الخارجي. وتبعا لجزئي النفس هاذين يميز أرسطو في الفضائل، وسيلة الإنسان في بلوغ حياة أخلاقية سعيدة،

نوعين، فضائل عقلية مكتفية بذاتها لأنها هي العقل ذاته، وفضائل أخلاقية ليست مكتفية بذاتها لأنها تحتاج للعقل كي يوجهها، ف"التبصر يظهر أنه هو والعقل شيء واحد وليس هو إلا جهة من جهاته، في حين أن الشجاعة لا يمكن أن تقوم بذاتها وليست شيئا بدون ملكة العقل السامية التي تهديها" إلى الأفعال الفاضلة الجالبة للسعادة.

الاعتدال مطلب الفضيلة:

يستعين، أرسطو من أجل تحديد ماهية الفضائل الأخلاقية بصورة هندسية متمثلة في الوسط، وهو "النقطة التي توجد على بعد سواء من كلا الطرفين، والتي هي واحدة وبعينها في كل الأحوال"، فالفضيلة بالنسبة لأرسطو هي أيضا وسط بين متناقضين، وإذا أردنا أن نعبر عن ذلك بلغة أرسطو الفلسفية قلنا أن الوسط في المجال العملي "هو هذا الذي لا يعاب لا بالإفراط ولا بالتقريط"، وعليه يتعين على "كل إنسان عالم وعامل أن يجهد نفسه في اجتناب الإفراطات من كل نوع سواء كانت بالأكثر أو بالأقل، ولا يطلب إلا الوسط القيم ويفضله على الطرفين"، فالإفراط في الشيء الذي يفضي إليه الفعل مثله مثل التقريط فيه مذموم "والوسط وحده هو الحقيق بالثناء، لأنه وحده هو القدر المضبوط القويم"، والالتزام بهذا الوسط وتجنب النقائص في مجال العمل الإنساني هما شرطا الحياة التامة السعيدة المنوط بالإنسان أن يحياها.

الفضيلة ليست معطى قبلي:

يستبعد أرسطو، في سياق تحليله لطبيعة الفضيلة، أن تكون الأخيرة حاصلة فينا بالطبع، "لأن أشياء الطبع لا يمكن أن تصير... أغيار ما هي كائنة. مثال ذلك الحجر الذي هو بالطبع يهوي إلى أسفل لا يمكن أن يأخذ عادة الصعود"، بينما الأمر يختلف مع الإنسان، "فالسعادة هي بوجه ما ممكنة المنال لنا جميعا، لأن من الممكن لأي إنسان أن يصل إلى السعادة بدراسة ما وبعنايات ملائمة، إلا أن تكون الطبيعة قد صيرته تماما غير أهل لأي فضيلة" وكما أن إمكانية أن يصير الإنسان فاضلا لو أراد ذلك واجتهد فيه تنفي فرضية أن الفضيلة تعطى للإنسان بالولادة مع طبعه، هي تنفي أيضا فكرة أفلاطونية مفادها أن الفضيلة هي "بالأولى نتيجة لمنحة إلهية ما... وأنها نعمة تأتي من لدن حسب اعتقاد أفلاطون.

الآلهة تمنح فقط لقلّة من الأفراد المصطفين الملهمين الأفذاذ وهم الفلاسفة.

صناعة الفضيلة:

يضع أرسطو للفضائل تحديدا إيجابيا- بعد أن حددها تحديدا سلبيا فند فيه فكرة كونها معطى من معطيات الطبع وفكرة كونها هبة إلهية، - وهي أنها، أي الفضائل، عادات نكتسبها

بالممارسة، "فالحال فيها كالحال في جميع الفنون الأخرى، لأنه في الأشياء التي لا يمكن فعلها إلا بعد تعلمها نحن لا نتعلمها إلا بممارستها. وحينئذ يصير الإنسان معماراً بأن يبني، ويصير موسيقياً بأن يمارس الموسيقى، كذلك يصير المرء عادلاً بإقامة العدل وحكماً بمزاولة الحكمة وشجاعاً بإظهار الشجاعة" والأمر نفسه مع الفضائل جميعها فهي لا تتكشف ولا تعرف إلا من خلال ما تأتيه من أفعال.

إن الفضائل، على ذلك، ليست أمراً نظرياً متروكاً للتأمل بل إنها محايثة لأفعالنا وتظهر من خلالها وتتعرّز بها، "فبسلوكنا في الظروف الخطرة واكتسابنا فيها عادات الخوف أو الثبات يصير بعضنا شجاعاً وبعضنا جبناً... وبالاختصار فإن الملكات لا تأتي إلا من التكرار الكثير للأفعال عينها" وعلى مدار حياة الإنسان كلها. والتعود على الفضيلة ليس أمراً سهلاً البتة لأنه يتطلب جهداً متواصلاً وتجنيداً لكل قوى الإنسان الذهنية والبدنية من أجل تدريب الذات على إتقان الأفعال الفاضلة.

يستنتج أرسطو من كون الفضيلة عادة أنه كلما أبكرنا في تعليمها للإنسان كان أقدر على تمثيلها في أفعاله مستقبلاً، "فليس إذن بالشئ قليل الأهمية أن نتخذ منذ الطفولة وباكراً بقدر الممكن العادات الفلانية أو الفلانية. إنها على ضد ذلك كبيرة الأهمية جداً، وبعبارة أخرى هي كل شيء" ولا يرى أرسطو أن الطفل الصغير محتاج لفهم فضيلة التزام قاعدة الوسط أكثر من حاجته إلى التدريب على تمثيلها في أفعاله. وهذا ما يمكن أن يفسر تمييز أرسطو الذي أشرنا إليه سابقاً بين فضائل عقلية وأخرى أخلاقية، وأن الفضائل العقلية "تكاد تنتج دائماً عن تعليم يسند أصلها ونموها، ومن هنا يجيء أن بها حاجة إلى التجربة والزمان بينما تتولد الفضائل الأخلاقية من العادة" أساساً، لكن وجب الانتباه إلى أن الفضائل الأخلاقية وإن كانت تظهر قبل الفضائل العقلية تبقى الأولى متعلقة بالثانية ومشروطة بها.

الطبيعة الإرادية للفضيلة:

يشدد أرسطو في فلسفته الأخلاقية على عنصر الإرادة والاختيار، "وعلى هذا فإنه لا يكفي أن يتبع المرء قاعدة الوسط إتباعاً خارجياً في سلوكه الظاهر، إنما ينبغي أن تكون إرادته الشخصية متبعة لها ومنظمة على أساسها. إن الفضيلة أمر داخلي وليست فقط ذات مظهر خارجي" وما يفسر، عند أرسطو، أن الأفعال الفاضلة تصدر عن دخيلة الإنسان هو أنه يطلبها عن حب، وهي

لذلك مبعث سرور وشعور بالجمال واللذة له، "فإن يكون الإنسان مسرورا فتلك ظاهرة تتعلق بالروح على جهة الاختصاص، وأن الشيء يكون ذا محاسن في نظرنا حينما يمكن أن يقال عليه: إننا نحبه، فالحصان يسر من يحب الخيل والمسرح يسر الذي يحب المسارح، كذلك الأشياء العادلة تسر الذي يحب العدل، وعى وجه أعم، الأفعال الفاضلة تسر من يحب الفضيلة" فيقبل عليها عن رضا لما فيها من لذة وسرور وجمال.

إن الأشخاص الفاضلين، بهذا المعنى، يطلبون الأفعال الفاضلة لذاتها وحسب، "فحياتهم لا حاجة بها أصلا إلى اللذة تأتي فتتضم إليها كنوع من الملحق أو التتمة، بل إن الأفعال الفاضلة تحمل في نفسها اللذة... فالذي لا يجد اللذة في الأفعال الفاضلة ليس في الحق فاضلا". وإذا كان ذلك صحيحا فإنه لن تغدو "الأعمال المطابقة للفضيلة، التي هي في ذاتها اللذات الحقة للإنسان، مقبولة فقط بل حسنة وجميلة أيضا" وحسب ذلك، سيحقق الإنسان السعادة، التي هي غاية ما نأتيه من أفعالنا الفاضلة، في صورتها التامة حيث يجتمع فيها الحب والجمال واللذة.

الطبيعة القصدية للفضيلة:

يؤكد أرسطو أنه وإن كان الأصل في الفضائل هو الإرادة، فإن الأفعال الفاضلة لا تمثل إلا جزءا من مجموع الأفعال التي تملئها الإرادة، ولا يكون الفعل، حسب أرسطو، أخلاقيا وفاضلا إلا إذا كان اختيارا قصديا، والقصد عند أرسطو "ليس مماثلا للإرادة التي هي تمتد إلى أبعد منه. فالأطفال... لهم نصيب من الإرادة، ولكن ليس لهم اختيار ولا قصد ثابتان عن دليل". وعلى ذلك يرى أرسطو "أن الاختيار أو القصد الذي يختار لا يمكن أن يكون للكائنات غير ذوات العقل منه نصيب، في حين أن هذه الكائنات هي قابلة أن يكون لها رغبة وشهوة". والواضح من هذا التحليل أن أرسطو يخلط بين الإرادة والرغبة ولا يميز بينهما.

يمتاز القصد عن أفعال الإرادة الأخرى في أنه يقوم على التدبر، فهو "لا يتجه البتة إلى الأشياء المستحيلة، ولو قال أحد أنه يؤثر أو يختار هذه الأشياء بقصد لكان في ظاهر الأمر مجنونا. على ضد ذلك الإرادة يمكن أن تتعلق حتى بالأشياء المستحيلة" كأن يريد الإنسان الخلود مثلا.

يضيف أرسطو تمييزا آخر للقصد أو الاختيار القصدي عن الإرادة أو الرغبة، فإذا كانت الأخيرة "تتعلق على الأخص بالغرض الذي تسعى إليه فإن القصد أو الاختيار المدبر يقدر على الأخص الوسائل التي تؤدي إلى ذلك الغرض، مثلا نحن نرغب في الصحة ونريدها ولكننا نختار بقصد مدبر الوسائل التي يمكن أن تعطينا إياها" فحين تساورنا الرغبة في إدراك هدف ما "نبدأ في

النظر في وسائل تحقيقها ونستمر في تحليلنا حتى نجد أن سلسلة الشروط المطلوبة باتت تسمح بالقيام بفعل ما يكون بمقدورنا القيام به في نفس تلك اللحظة" وضمن ظروف تخصصنا وحدنا. يرى أرسطو أنه إذا تعين الغرض وأدرك الإنسان بتدبره أنه محال عدل عنه وإذا رآه ممكنا سعى إلى تحقيقه، "وإننا لنعد من بين الأشياء الممكنة كل الأشياء التي يمكننا فعلها بأنفسنا وحدنا أو بواسطة أصحابنا، لأن ما نعمله بواسطتهم هو بوجه ما من عملنا ما دام مبدأ فعلهم إنما هو منا...فما يبحث عنه إنما هو تارة الوسيلة التي تتخذ وتارة الطريقة التي يلزم إتباعها وتارة الشخص الذي يجب توسيطه". واستنادا إلى هذا التحليل يصل أرسطو إلى تحديد للقصد المدبر أو الاختيار القصدي مؤداه "أنه الرغبة المدبرة التي جرت عليها المعادلة في الأشياء التي تتعلق بنا وحدنا، لأننا نحكم بعد أن عادلنا ثم نرغب في الشيء على مقتضى معادلتنا وتصميمنا الاختياري". والواضح منمن هذا التعريف أن الفعل الأخلاقي هو اختيار شخصي عقلائي يختلف باختلاف الأشخاص.

استنتاج:

يبدأ التأسيس الأرسطي للأخلاق للمقاولاتية بتحويله البحث الأخلاقي من مجرد تأمل في مصادر متعالية على الإنسان ومستقلة عن واقعه يستمد منها خبريته (كما هو الحال في الأخلاق الأفلاطونية أو أخلاق الواجب التي صاغها كانط لاحقا) إلى الإنسان الفعلي والمنغمس في الواقع. ولأن غاية ما ينشده هذا الإنسان في حياته هو السعادة ستكون الأخيرة موضوع الأخلاق بلا منازع، وسيصير الشخص فاضلا بمقدار ما يناله من السعادة المتأتية مما يصدره من أفعال. وتتحقق سعادة المقاول، تمشيا مع هذا التصور للخير، في مشاريعه المقاولاتية التي يكرس لها حياته كلها. لقد ساق ربط أرسطو للأخلاق بالسعادة، ومن ثم بالعمل، إلى قيمة أخلاقية أساسية تؤسس أخلاقيا للمقاولاتية، وهي الإقرار بالحرية الفردية التي تتجلى في القصد إلى اختيار ما يراه الشخص فعلا فاضلا، محققا لسعادته. والقصد يتضمن التفكير المتأن والتدبر والتبصر في مدى واقعية الفعل وفيما إذا كانت الوسائل المتاحة للشخص قادرة على مساعدته في إنجازه. وبهذا المعنى يمكن أن نفهم ما تنطوي عليه المخاطرة التي يقبل عليها المقاول، من خلال مشروع غير مضمون النتائج، من معقولية. ففكرة المقاول على قراءة ما يقدمه السوق من علامات ومعرفته بإمكاناته البشرية والتنظيمية والمالية يسوغ الإقبال على مثل هذه المخاطرة.

يكشف هذا التأسيس الأخلاقي للمقاولاتية عن نفسهم خلال فكرة أن الحياة وفق الفضيلة ليست هبة تعطى للإنسان بصورة قبلية مع طبعه. إن الإنسان، حسب أرسطو، لا يولد خيرا

أو شريرا بل يصير كذلك. فالفضائل، أي وسيلة الإنسان في تحقيق السعادة هي عادات لا يمكن أن يكتسبها إلا بالتكرار وبالمثابرة وبالدرية وببذل جهد متواصل لا ينقطع في اكتسابها. فأن تكون شجاعا مثلا يتطلب منك الأمر أن تتعود في ظروف مختلفة ومهما كانت المخاطر إتيان أفعال شجاعة. فأن يكون الإنسان أخلاقيا في حياته ينبغي أن يشتغل على ذاته بصورة متواصلة. والاشتغال على الذات هو محور الظاهرة المقاولاتية. فالمقاول الناجح هو من يتحلى بالصبر ويدرك أهمية المثابرة وبذل الجهد والاستفادة من الأخطاء والتجارب الفاشلة.

مصادر ومراجع البحث:

مصادر البحث:

01-أرسطو. "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". تر: أحمد لطفي السيد. مطبعة دار الكتب المصرية. سنة 1924.

02-يونس محمد. "التأسيس لمشروعات ذات طابع اجتماعي. نحو نمط جديد من الرأسمالية يلي الحاجات الإنسانية الأكثر إلحاحا". ترجمة: منذر محمود محمد. نشر وتوزيع العبيكان. الرياض. المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى. سنة 2018.

قائمة المراجع:

03 -تاييلور ألفرد إدوارد. "أرسطو". ترجمة: عزت قرني. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة: 1992.

04- خربوطلي عامر. "ريادة الأعمال وإدارة المشروعات الصغيرة والمتوسطة". منشورات الجامعة الافتراضية السورية. الجمهورية العربية السورية. الطبعة الأولى. سنة 2018.

05- سعيد مجدي. "تجربة بنك الفقراء". الدار العربية ناشرون. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. سنة 2007

06- كاوازاكي جاي. "فن البداية". ترجمة: محمد عبد الله القوي. مكتبة جرير. الطبعة الأولى. سنة 2009

07- Pierre Kropotkin. "L 'Ethique". Les éditions invisibles. 2009.p: 120.